هوامش

يعرف القطريون جيداً كيف يستثمرون العولمة في شكل جيد ويوظفونها لمصلحتهم، لكنهم يتعلقون أيضاً بعاداتهم المتجذرة في حياتهم ونشأتهم وتربيتهم، وفي مقدمها تلك الخاصة برمضان

يحافظ القطريون حتى اليوم على العادات الشعبية في رمضان (العربي الجديد)

«الغبقة» و«القرنقعوه»
رمضان قطر كما الأقدمون

الدوحة ـ **أسامة سعد الدين**

ارتبط شهر رمضان بعادات وتقاليد خاصة لا تتكرر في شهر آخر، وتختلف بين بلد وآخر. ويحرص القطريون تحديداً على إحياء العادات الخاصة بشهر الصوم والتي تتشارك بعضها مع بلدان كثيرة، ومنها تبادل طعام الإفطار بين الجيران لجعل المائدة الرمضانية تزخر بأنواع مختلفة من الأصناف والأطباق، ما يزيد الترابط الاجتماعي والتقارب بين الأسر والأفراد.

وتتصدر «الغبقة» التي تعتبر وليمة ليلية، العادات الشعبية التي يحافظ عليها أهل قطر حتى اليوم، كما يحيون ليلة «القرنقعوه» التي تصادف في منتصف رمضان، لكن بريقها يخف عاماً بعد عام، ويكاد يقتصر إحياؤها على المهتمين بالشأن الثقافي.

يقول الباحث في التراث الشعبي صالح غريب لـ«العربي الجديد»، إن «العادات والتقاليد الرمضانية حاضرة في قطر، رغم التغير الاجتماعي الذي أحدثته العولمة، وتشابه هذه العادات في دول الخليج العربي. وحافظت التقاليد الشعبية القطرية على شخصيتها من دون تغيير، وبقيت تمارس كما كان يفعل الأقدمون، منها الفطور الجماعي مع الأسرة طوال أيام شهر رمضان، ووليمة الغبقة التي تجمع الأسرة والأصدقاء على مائدة ليلية يبدأ وقتها بعد صلاة التراويح التي يحرص أهل قطر رجالاً ونساءً على أدائها في المساجد». ويوضح أن «وليمة الغبقة تشمل أنواعاً من الأسماك خاصة المشوية، والمحمر وهو عبارة عن أرز مطبوخ بخلاصة التمر، ووجبة الثريد الذي تمزج الخبز المفتت واللحم والمرق، وأيضاً أنواع حلويات بينها اللقيمات والعصيدة، وهناك بالطبع التمر والشاي والقهوة». ولا تقتصر إقامة «الغبقة» في قطر على مجالس العائلات والأصدقاء والأقارب في البيوت، إذ انتقلت إلى الفنادق والخيام الرمضانية، كما تدعو مؤسسات موظفيها لتناول هذه الوليمة التي تشكل فرصة لتعزيز العلاقات بين المديرين والموظفين.

وعن مدى الحفاظ على العادات الرمضانية في قطر، يستحضر الكاتب والروائي جمال فايز في حديثه لـ«العربي الجديد»، ذكريات فترة طفولته خلال منتصف السبعينيات من القرن الماضي، حين لم تكن تتوفر قنوات التلفزيون الفضائية والهواتف الخلوية ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، وتجذب اهتمام المجتمع والأفراد، ما كان يعطي وقتاً للمّ أفراد الأسرة طوال ساعات. ويقول: «شهدت تلك الفترة عادات وتقاليد باتت غائبة اليوم تقريباً. وأذكر أن والدتي كانت تحضر خبز الرقاق بالطريقة التقليدية ودون استخدام أدوات كهربائية، والهريس عبر ضرب الحبوب وقطع اللحم داخل قدر، وأنها كانت تطلب منا أحياناً مساعدتها في هذه المهمات. ومن العادات التي كادت أن تختفي وتحضر في شكل نسبي في بعض المناطق، تبادل المائدة الرمضانية بين الجيران. فقبل الإفطار بنحو نصف ساعة كنا نأخذ الصحون المليئة بالمأكولات إلى الجيران، وكانت غالباً صحون ثريد أو هريس وغيرهما. وفي المقابل تزودنا السيدة في بيت الجيران بطبخة أعدتها، وبالتالي عندما تجلس الأسرة حول المائدة التي كانت تفرش على الأرض، قبل ظهور الطاولات والكراسي والسكاكين والملاعق، تكون عامرة بالأطعمة التي أعدت في المنزل إلى جانب تلك التي جلبت من بيت الجيران». ويشير فايز إلى أن «عدد الساعات التي يقضيها الأبوان مع الأبناء والأحفاد يزداد خلال رمضان، لكن ليس بالقدر نفسه أيام زمان. ومع اقتراب منتصف رمضان، تبدأ التجهيزات للاحتفال بليلة القرنقعوه التي كنا نخرج فيها صغاراً ذكوراً وإناثاً لإنشاد الأهازيج. وجميل أن هذه العادة ما زالت موجودة في قطر والخليج، وكذلك احتفاء وسائل الإعلام القطرية بالمناسبة التي تعتبر من الأشياء الجميلة التي تحسب للمجتمع القطري، إلى جانب الاستعداد المبكر لعيد الفطر في الأيام الأخيرة من رمضان، علماً أن المكان الأكثر شهرة الذي يقصده الناس هو سوق واقف. وكان العيد يمتد أياماً». وقد أعدّت مؤسسات قطرية عدّة هذا العام برامج خاصة للاحتفال بهذه المناسبة، بهدف إدخال البهجة إلى نفوس الأطفال بعد توقّف قسري عن إحيائها، فعاد الصغار لترديد أهازيج خاصة بهذه المناسبة الرمضانية الشعبية التراثية، منها «قرنقعوه قرقاعوه... عطونا الله يعطيكم... بيت مكة يودّيكم... يا مكة يا المعمورة... يا أمّ السلاسل والذهب يا نورة». وبعد الجولة التي انتهت عند العشاء، عاد هؤلاء إلى منازلهم وقد امتلأت الأكياس التي يحملونها في أعناقهم، بأنواع من المكسّرات والسكاكر التي جهّزها الأهالي خصّيصاً للمناسبة. ومن الاحتفالات الشعبية الرمضانية الشهيرة إلى جانب ليلة «القرنقعوه»، وداع رمضان رغم أنه كان يقتصر على أشخاص يحيونه مثل الفنان فيصل التميمي في نهاية شهر الصيام، إضافة إلى «المسحر» الذي اختفى في شكله التقليدي، واقتصر تجسيده على مؤسسات تستحضره وتجعله يجوب الأماكن حاملاً طبلته ليوقظ الناس من أجل تناول السحور، وبينها المؤسسة العامة للحي الثقافي «كتارا» ومؤسسة سوق واقف. أما «مدفع الإفطار» فتخصص مواقع لإطلاقه، ويعد من أقدم الفعاليات التي يقبل عليها القطريون والمقيمون الذين يصطحبون أطفالهم لمشاهدة عملية الإطلاق التي ينفذها عسكريون إيذاناً بحلول موعد الإفطار.**

وعن تأثير العولمة على العادات الرمضانية لأهل قطر، يقول فايز: «رغم هبوب رياح العولمة لا تزال المجتمعات تتمسك ببعض عاداتها، ونحن لا نستطيع في كل الأحوال تجاهل التقدم الكبير الذي حققته البشرية في المواصلات والاتصالات التي أفرزت فضائيات وهواتف نقالة وغيرها، ولا يجب أن نرفض العولمة، بل نستثمرها في شكل جيد ونوظفها لمصلحتنا، علماً أن تأثيرها ليس سلبياً بالكامل وليس إيجابياً أيضاً. واليوم تشغل القنوات الفضائية اهتمام الإنسان العربي وبالطبع القطري، في ظل وجود أكثر من 1200 قناة تتنافس في تقديم المحتوى». وحول طريقة إرساء العادات في نفوس الأبناء، يرى فايز أن «المسؤولين يجب أن يفكروا في المستقبل، داعياً إلى الحفاظ على مكتسبات العادات الجميلة في المستقبل»، ويطالب بإقرار منهج مادة دراسية تتناول العلاقات الاجتماعية، «فمنهج وزارة التربية والتعليم يقدم مواد علمية في اللغة العربية والرياضيات والعلوم وغيرها التي تفيد في تعزيز القدرات الوظيفية في المستقبل، لكن المطلوب وضع مادة تعليمية تتناول منهج الحياة، وتختلف من مرحلة تعليمية إلى أخرى، وتشمل العادات والتقاليد والمسؤوليات الأخرى التي تقع على عاتق الأسرة».

باختصار

تحضر العادات والتقاليد الرمضانية في قطر رغم التغيّر الاجتماعي الذي أحدثته العولمة

■■■

يعد «مدفع الإفطار» من أقدم الفعاليات التي يقبل عليها القطريون والمقيمون الذين يصطحبون أطفالهم لمشاهدة طلقة الإيذان بموعد الإفطار

■■■

منهج وزارة التربية والتعليم يقدم مواد علمية في اللغة العربية والرياضيات والعلوم التي تفيد في تعزيز القدرات الوظيفية في المستقبل

وأخيراً

فولكنر في «حكاية خرافية»

نجوى بركات

«عندما يكون القدرُ قد قرع آخر دقّات الحزن واختفى من تلك الصخرة التافهة الأخيرة المعلّقة جامدةً في المغيب الأحمر الأخير، سوف تُسمع ضجةٌ واحدة: هي صوتٌ صغير لا يكلّ للإنسان وهو ما زال يحكي». الجملة للأميركي ويليام فولكنر (1897 – 1962)، أحد أكبر روائيي القرن العشرين والحائز جائزة نوبل للآداب عام 1949، وقد يكون تجسيدها ظاهرا ومكتملا في روايته التي تحمل عنوان «حكاية خرافية»، ونال عنها جائزة بوليتزر للأعمال الخيالية، عام 1955، وكذلك الجائزة الوطنية للكتاب. في هذه الرواية، ابتعد فولكنر للمرة الأولى عن موضوعاته الأثيرة المتعلّقة بالجنوب الأميركي، راغبا في أن تكون أفضل أعماله، لا بل أفضل أعمال زمنه، وهي التي تدور أحداثها في القارّة الأوروبية، في فرنسا تحديدا، خلال الأيام الأخيرة للحرب العالمية الأولى (1914 - 1918). لقد دوّن عام 1948 ملاحظةً بشأنها حيث يقول: «إنها قصة المسيح في الجيش الفرنسي، عريف وفرقته المؤلفة من 12 جنديا يأتمرون بأوامره، مع قائد هو المسيح المضادّ سوف يرسل في طلبه ليقفا فوق قمة هضبة ليهديه العالم .. الحكاية رمزية وغير واقعية .. سوف يتم اختيار جثمان العريف ليكون الجندي المجهول. المسيح سيُبعث حيا في الجماهير».

يُقال إن فولكنر كان قد حلم شابًا بالمشاركة في تلك الحرب طيّارًا، غير أن أمله خاب بشدّة، إذ وصل متأخّرا، لحظة انتهاء المعارك، فلم يتمكّن حتى من الخروج في مهمّةٍ أو من خوض أية معركة. ومع ذلك، راح لدى عودته يروي عن بطولاته الوهمية ضد الجنود الألمان. والحال أن الفرصة عادت وسنحت له أن يشارك لاحقا في حربٍ عالميةٍ ثانية، بشكل سلبي، منتسبا هذي المرّة إلى لجان الدفاع عن الأهالي والسكان. في عام 1944، باشر فولكنر تحرير روايته التي لم ينه كتابتها إلا بعد عشرة أعوام، أي في 1954، لتكون من ضمن آخر أعماله.

تجري أحداث الرواية التي تطلّبت كتابتُها جهدا كبيرا، خلال أسبوع من شهر مايو/ أيار 1918، حيث يُعلَن عصيان في فرقة عسكرية تترك الخنادق خالية الأيدي، رافضةً أن تستمرّ في قتال من تعتبرهم، في الخنادق المقابلة، إخوةً في البؤس والشقاء، لا أعداء. وبالطبع، نحن هنا برفقة سرد عظيم، وأسلوب مركّب ومبدع في التعاطي مع موضوعٍ ذي نزعة إنسانوية بامتياز، وبالتحديد في ما يتعلّق بشخصية القائد العسكري، المسيح المضادّ، الذي يرغب بتصفية كامل الفيلق لكي ينتقم لمسيرته المهنية التي أُفسدت بسبب العصيان. ولأن الحرب تقتضي وجود طرفين، يعامل الجنودُ الألمان «أعداءهم» بالمثل، فيتركون هم أيضا أسلحتهم، ويغادرون خنادقهم، فيسري العصيان كالنار في الهشيم، ويلتزم الجنود على كامل الجبهات بقرار رفاقهم، فتتوقّف الحرب! بهذه البساطة؟ بهذه السذاجة؟ أجل، لولا أن القائد الفرنسي العام لن يسمح بتوقّفها أكثر من ساعات، إذ يتواصل سرّا مع نظرائه، الألماني والانكليزي والأميركي، للبحث في كيفية إعادة إشعالها مجدّدا، فالحرب أمر حتميّ، جوهريّ، وهي لصيقة بطبيعة الإنسان وملازمة له، على ما يقول القائدُ العام للعريف ستيفان بعد اعتقاله. بالطبع، يعدم العريف الشاب ويرسل جثمانه إلى عائلته، ليُدفن في قبر الجندي المجهول. لكنّ موته لن يكفي حرّاسَ الموت، فها هم يعمدون إلى نسف قبره وتدميره بشكل كامل بنيران المدفعية. هذا وينهي فولكنر روايته القاتمة بانتقال روح العريف إلى جندي بريطاني سيقوم بدوره بمواجهة القائد الذي أمر بقتل ستيفان.

> لم يُجمع النقّاد على أن «حكاية خرافية» من أهم أعمال فولكنر، بل اعتبرها بعضهم «رواية سياسية فاشلة»

على غير ما أراد لها كاتبُها، لم يُجمع النقّاد على اعتبار «حكاية خرافية» من أهم أعمال فولكنر، بل ذهب بعضهم حدَّ اعتبارها «رواية سياسية فاشلة»، إلا أن صدى ما كتبته حنة أرندت بصددها ما زال يتردّد في ظلّ الحروب التي تقضم وجهَ العالم حاليا: «كان ينبغي أن تمرّ ثلاثون سنة تقريبا قبل أن يظهر عمل فنّي يعرض بكل شفافية الحقيقةَ الداخلية للحدث، بحيث يصبح ممكنا القول: أجل، هكذا جرت الأمور».

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**